مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد السابع ،العدد الرابع ، ماي 2022 ص - ص:495-520.

الموت الجماعي في المغرب الإسلامي (ق03– 10هـ/ق09– 16م).

Mass death in the Islamic Maghreb (03-10hi/16-09co)

حداد أحمد(*)
مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبوبكر بلقايد، –تلمسان– الجزائر
haddad.ahmed@univ-tlemcen.dz

د. ليبدري بلخير.
جامعة أبوبكر بلقايد –تلمسان– الجزائر.
belkheir20000@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/ 29 **تاريخ القبول:** 2021/12/ 04 **تاريخ النشر:** 2022/05/ 11

الملخص:
هذا البحث دراسة في أسباب الموت الجماعي من خلال عملية جرد وإحصاء للعديد من الأزمات السياسية والكوارث الطبيعية التي مست مغرب العصر الوسيط، تهدف إلي بيان تأثير هذه الأزمات في المجتمع المغربي، تمثلت في ثلاث أزمات كبيرة: مجاعات أوبئة وحروب، كانت مخلفاتها كارثية علي كل الجوانب وخاصة علي الجانب الديمغرافي، شكلت العلاقة التكاملية التي كانت تربط بين هذه الأزمات الثلاثة مشكلة عويصة أخري بحيث تَحدُث هذه الأزمات متوالية تسبقها المجاعات بنقص الأمطار وقلة المجابي، وتكتمل بحدوث الأوبئة والحروب، وهي التي أسهمت في تراجع رهيب في العنصر البشري إذ تحتاج فترات زمنية كبيرة لإعادة إعمار المنطقة، وبالرغم من عدم إعطاء المصادر لإحصائيات رسمية تعبر عن الخسائر بصفة دقيقة إلا اننا حاولنا الوصول لإحصائيات تقريبية عن هول الخسائر وعظمها من خلال العديد من القرائن.

الكلمات الدالة: المغرب الإسلامي، الموت، المجاعات، الوباء، الحروب.

Abstrac:
This research is a study of the causes of mass death through an inventory and census of many political crises and natural disasters that affected medieval Maghreb, aiming to show the impact of these crises on Maghrebian society, represented by three major crises: famines, epidemics and wars, the remnants of which were catastrophic on all sides Especially on the demographic side, the complementary relationship that connected these three crises constituted another severe problem, as these crises occur in sequence, preceded by famines, due to lack of rain and lack of response, and complete with the occurrence of epidemics and wars, which contributed to a terrible decline in the human element, as large periods of time need to be restored. Reconstruction of the area, and although the sources did not give official statistics that accurately express the losses, we tried to reach an approximation of the size and magnitude of the losses through many clues.

Keywords: the Islamic Maghreb, death, famine, epidemic, wars.

1. مقدمة:

مست العديد من الأزمات بلاد المغرب في العصر الوسيط منها، كوارث طبيعية، وأخرى سياسية، انجر عنها مجاعات هالكة، وأمراض مميتة، وأزمات سياسية كبيرة، وحروب كثيرة، كان مسببها إما طبيعيا أو بفعل الإنسان. كانت تتكرر بشكل دوري، خلقت خسائر كبيرة على كل الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، لعل أبرزها المجاعات، والأوبئة، والحروب. فكانت هذه الثلاثية الأكثر فتكا بسكان بلاد المغرب، أسهمت في تراجع رهيب في

* المؤلف المرسل.

العنصر البشري، أدت في الكثير من الأحيان إلى تدمير مدن وتصفيتها، تباين ذلك نظرا لطبيعة المنطقة ومواردها الطبيعية والبشري.

تعد دراستنا لهذه الكوارث والأزمات، هي دراسة استقرائية جردية، لأهم الأزمات والأحداث التي مست بلاد المغرب ودراسة تأثيرها على الجانب الديمغرافي، دراسة في الخسائر البشرية وحدتها على امتداد الفترات الزمنية. تتعدد أسبابها ومسبباتها بين العامل الإنساني والطبيعي، فنجد ابن خلدون يربط كثرة الموت في ثلاث مصطلحات: [المجاعات، الحروب، والوباء]. حين يقول: " وأما كثرة الموتان فله أسباب من كثرة المجاعات أو كثرة الفتن لاختلال الدول، فيكثر القتل والهرج، أو وقوع الوباء وسببه وفي الغالب فساد الهواء" هي بذلك كانت تترصد جل بلاد المغرب وتحصد الكثير من الأرواح، يقل عددها أو يكثر تبعا لحدة الكارثة وامتدادها جغرافيا أو زمنيا ما جعل الموت هاجسا لدى معظم أفراد المجتمع المغربي. وهي الصفة الغالبة لكل العالم الإسلامي.

بينما الدارس لتاريخ بلاد المغرب في العصر الوسيط يلاحظ كثرة الأزمات السياسية والحروب، وكذا الكوارث الطبيعية والأمراض، والتي أثرت بشكل كبير في حدوث خسائر كبيرة في الجانب الديمغرافي، ذهبت بعض الدراسات إلى القول بأنها تحتاج فترات زمنية كبيرة لإعادة العنصر البشري، وبذلك يمكن طرح الإشكالية التالية: ما هي أسباب الموت الجماعي في المجتمع المغربي؟ وكيف كان تأثيرها على العنصر الديمغرافي؟ وهل يمكن أن نؤرخ بها لدراسة وإحصاء ولو نسبي للعنصر البشري المغربي في هذه الفترة؟

لدراسة الموضوع لا بد من التعريج على أهم العناصر التي أدرجناها ضمن خطة المقال والتي ابتدأت بمقدمة مهدنا من خلالها للموضوع وعرفنا به، وكان العنصر الأول معْنوِنَ بالكوارث الطبيعية ضمنه دراسة لمختلف المجاعات والأوبئة التي مست بلاد المغرب، والعنصر الثاني كان الحروب وأثرها على الجانب الديمغرافي حاولنا فيه جرد أهم الحروب وتأثيراتها، واختتم العمل بخاتمة خلصت لأهم النتائج المتوصل إليها.

2.الموت بين الكوارث الطبيعية والأزمات السياسية.

1.2 . الكوارث الطبيعية:

تندرج ضمنها مجموعة من الأوبئة والأمراض والمجاعات تربط بينها علاقة متينة كثيرا ما تُأثر كل كارثة على الأخرى، إذ أن كل المصادر تربط وقوع الوباء والأمراض بصفة عامة بحدوث القحط والجفاف والمجاعات.

أولا: المجاعات:

أ) **تعريف المجاعات: لغة:** مشتقة من الفعل جاع يجوع، فهو جائع وجوعان، والجوع نقيض الشبع[1]، وتطلق أيضا عليها الأَلَبَةُ وهي مأخوذة من التألُبْ والتَجَمُعْ، لأن الناس يجتمعون في المجاعة[2] ويقال للمجاعة او الجوع لفظ

الخوبة، وأصابتهم خوبة الخاء المعجمة: اي مجاعة.[3] وقد وردت في القرآن الكريم بلفظ المسغبة قال تعالى: "أو إطعام في يوم ذي مسغبة"[4] والمسغبة: الجوع [5]

اصطلاحا: حالة مرتبطة بنقص الغذاء، وانعدام الأقوات [6] وتكون بقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر،[7] فهي ظاهرة اقتصادية واجتماعية شهدتها بلاد المغرب، وردت في المصادر المنقبية بلفظ المسغبة والمجاعة، وبذلك اصطبغت بصبغة دينية محضة[8]، بينما وردت في المصادر السياسية بلفظ المجاعة للدلالة على أنها أزمة اقتصادية، ويمكن القول أنها: ظاهرة اقتصادية عارضة غير محددة الزمن مرتبطة بانعدام الأقوات والأرزاق، وأحيانها بنقصها وحدوث الغلاء في الأسعار[9]، فيختل النظام الكوني ويدق ناقوس الخطر آذنا للموت أن ينال حظه من البشر[10]، تحدث لسببين الأول طبيعي تتحكم فيه نسبة التساقط أو ما يصطلح عليه القحط، ومختلف العوامل الطبيعية، والثاني بسبب العوامل البشرية من حروب وأزمات سياسية وحصار للمدن.

ب) **المجاعة وأسبابها:**

يمكن أن نميز بين نوعين من المجاعات حسب العامل المتحكم في وقوعها إذ نجد مجاعات تحدث بفعل العوامل الطبيعية، وأخرى بسبب الإنسان وأفعاله.

1. العوامل الطبيعية

ويكون المتحكم في وقوعها الكوارث الطبيعية والظواهر الخارجة عن استطاعة الانسان حيث تكون المجاعة الطبيعية بسبب القحط[11]، وقلة الأمطار التي كانت تحدث بشكل دوري في بلاد المغرب؛ يشير ابن الأثير إلى أثر الأمطار على نقص الغذاء وانعدامه، فيقول:"...وانقطع الغيث وعدمت الغلات ..."[12]، وهو نص يعكس العلاقة التي تربط التساقط وتحقيق الغذاء والغلات أو حدوث المجاعات. والعلاقة بين القحط والغلاء هي علاقة مؤثر طبيعي ونتيجة اقتصادية واجتماعية مأساوية تعصف في الغالب بطبقة العامة وذوي الدخل الضعيف[13]، الذين تمسهم كل المؤثرات، عكس بعض الطبقات الاجتماعية، حتى أن غلاء الأسعار سنة (543هـ/1148م) والذي دام سبع سنين دفع بالناس إلى أكل بعضهم بعضا[14]، وهو ما جعل مجتمع بلاد المغرب يتوجه إلى المتصوفة والفقهاء لطلب الدعاء والاستسقاء[15]، وطلب المدد، حيث يذكر ابن الزيات(ت617هـ/1220م) في ترجمته للشيخ أبي حفص عمر بن معاذ الصنهاجي (ت561هـ/1165م)، أنه كان في مجاعة سنة (535 هـ/ 1140م) يجمع خلقا من الناس ويقوم بمؤنتهم[16]، ولعل تأثيرها غالبا ما يكون كبيرا خاصة على الطبقة العامة المعدومة.

وتقدم لنا شهادة أبي بكر بن العربي (ت534هـ/1139م) وصفا مؤلما لما عاناه العامة في المجاعات حيث كان شاهد عيان على مجاعة عام [535هـ/1140م ـ 536هـ/1141م] حيث قال:"...كنت بأيلان – أغمات وريكة – في مجاعة خمس وست وثلاثين وخمسمائة وقد ضاقت الأرض برحبها على المساكين وسادت بعطفي شرقيها وغربيها على

المحتاجين فحشرت الينا زمر... فرأيت الذي يلزمني منهم فأخذت اثنين وكنت آتيهم كل يوم برغيفين... وعمهم الوباء..."[17].بهذا فإن الخسائر البشرية تكون بصفة كبيرة على العامة من الناس إلا إن تأثيرها لا ينأى عن الطبقات الأخرى ولو بصفة قليلة.

2 . العوامل البشرية:

يتحكم فيها الانسان بسبب الحروب والحصار على المدن ومختلف الأزمات السياسية، وأفضل مثالين على ذلك حصاري مراكش سنة (1146/541م)، وحصار تلمسان سنة [698هـ/1298م]، فمن مخلفاتها تُحدِثُ المجاعة في المدينة المحاصرة، وذلك جراء طول مدة الحصار ودوامه، فلا يجد الناس ما يأكلون وبذلك تحدث الكارثة يذكر صاحب الحلل الموشية هول المجاعة وتأثير الانسان في حدوثها وذلك في حصار مراكش عام [541هـ/1146م] قال: "...ومات منهم بالجوع ما ينيف على مئة وعشرين ألف... وهلكوا جوعا وأكلوا الجيف ..."[18] وهو ما حدث في حصار تلمسان حيث أكل الناس جيف بعضهم، وأكلوا الحيات والحشرات، كما أن بعض الأزمات السياسية تحدث وقت الأزمة والمجاعة، ذكر ابن خلدون هولها، وقدم وصفا دقيقا لها فيقول:"... وخلت القرى والمنازل، ومن أفلته السيف أهلكه الجوع..."[19] فمعظم المجاعات أثرت في الجانب الديمغرافي بشكل كبير وهو ما يوضحه الجدول التالي الذي يمثل رصد زماني ومكاني لمختلف المجاعات التي حلت ببلاد المغرب وتأثيرها على الجانب البشري من بعيد أو قريب خاصة حين تطول الأزمة، إما بالموت المباشر عن طريق انعدام الأقوات، أو غير المباشر بنقصها وغلاء الأسعار وصعوبة الوصول إليها، فاقتصرت على بعض الفئات من المجتمع.

الجدول: 01 المجاعات وتأثيرها على العنصر البشري.

نوع المجاعة وزمنها	مكانها	التأثير	المصدر.
مجاعة طبيعية. [285هـ/898م]	المغرب	".. كانت المجاعة الشديدة ...حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم أعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير، هلك فيها من الناس مالا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد أعداد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة..."	ابن أبي زرع علي الفاسي، (كان حي سنة 729هـ/1328)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، تر: كار يوحن، دار الطباعة المدرسية للنشر والتوزيع، وسالة، ص60.
مجاعة طبيعية [303هـ/915م]	المغرب	". بلغت الحاجة مبلغها ... ووقع الموت في الناس حتى عجز الناس من دفن موتاهم ..."	نفس المصدر، ص61.
مجاعة طبيعية (395هـ/1004م)	إفريقية	كانت بإفريقية شدة عظيمة، انكشف فيها الستور وهلك فيها الفقير، وذهب مال الغني، وغلت الأسعار، وعدمت الأقوات، وجلي أهل	ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. سكولان وليفي

		البادية عن أوطانهم، وخلت أكثر المنازل، فلم يبق لها وارث، ومعها وباء وطاعون.	برفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ج1، ص257.
مجاعة طبيعية [411هـ/1020م]	المغرب	واشتد القحط ببلاد المغرب ... وكثر الفناء..."	ابن عذاري، نفس المصدر، ص74.
مجاعة طبيعية. [498هـ/1104م]	المغرب	"...تناهى القحط في بلاد الأندلس والعدوة حتى أيقن الناس بالهلاك..."	ابن عذاري، نفس المصدر، ج4، ص45.
مجاعة طبيعية، وبسبب الإنسان [534هـ/1139م]	المغرب	"...وتولاها الجدب حتى جفت في الأرض مذانبها ... وقلت المجابي..."	ابن عذاري، نفس المصدر جزء الموحدين. ص 16
مجاعة طبيعية [535هـ/1140م]	المغرب	فقد كانت أكثر تأثيرا على الفئات الفقيرة فقد جمع الشيخ أبي حفص عمروا بن معاذ خلقا كثيرا وكان يقوم بمؤمنتهم..	ابن الزيات، المصدر السابق، ص 183.
المجاعة بسبب حصار مراكش (541هـ/1146م)	مراكش	"...طال الحصار... ومات منهم بالجوع ما ينيف عن مائة وعشرين ألفا ... وأكلوا الدواب، والجيف، وأكل أهل السجن بعضهم...."	مُحَمَّد بن سعيد الخطيب: مصدر سابق، ص138 – 139.
مجاعة سببها الإنسان والطبيعة منتصف القرن الخامس	برقة	تحولت المنطقة إلى مركز جوع إثر الغزو الهلالي، وقد خرج أهلها في عداد سبع مائة نسمة لم يخلص منهم إلا مائة، وسببه أنهم لم يجدوا ما يأكلون إلا لحوم الحيات فعدا عليهم سمها فقتلهم، فكانوا يمرون بالخيام وهي مضروبة وجميع من فيها موتى من رجال ونساء وأطفال، وأكلوا لحوم بعضهم من الأموات.	التجاني أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، د ط، ليبيا تونس 1981.ص 192،191.
مجاعة بسبب الإنسان(585هـ/1189م)	تونس.	ووقع فيهم[20] الموت فأحصى الموتى منهم 1200 من الجوع والبرد والانقطاع. هذا في مكان واحد فما البال بالمناطق الأخرى.	نفس المصدر، ص 15، ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص301.
مجاعة بسبب الحصار المريني		"...عدد موتى أهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مئة ألف وعشرون ألفا..."	ابن خلدون: أبو زكريا يحيي (ت780هـ-1378م) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، طبع بمطبعة بيرفونطانة الشرقية، الجزائر،1903، ج1، ص 125.

على تلمسان [698هـ/1189م]	تلمسان	"سبعة أعوام حتى أكلوا الجيف والحشرات... حتى أكلوا بعضهم بعضا.."	ابن صعد التلمساني، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري (ت901هـ-1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بوعزيز، منشورات أناب، ط1، الجزائر، 2002م. ص 50.

تحليل الجدول:

خلفت المجاعات خسائر كبيرة، في الجانب الاقتصادي والبشري ومختلف المجالات، حيث كان الإنسان هو المحرك الأساسي لمختلف الأنشطة الاقتصادية كالزراعة والتجارة، وبالرغم من الأضرار التي تُلحقها المجاعات والكوارث إلا أن المصادر التاريخية تبقى في غنى عن الأرقام الحقيقية للخسائر وهو يرجع إما لطول المجاعة أو لاتساع المكان الذي تقع فيه، فنلاحظ أن بعض المصادر تعطي إشارات على الكارثة بقول وكانت المجاعة الكبيرة، وأكل الناس بعضهم بعضا، ووقع فيهم الموت، وغيرها من المصطلحات، للدلالة على الخسائر وهولها وكثرتها وهول الكارثة.

حدثت بعض المجاعات بسبب الإنسان، كانت تحدث لكثرة الحروب والأزمات السياسية، خاصة عند الحصار على مختلف المدن، وشن الحروب، وينجر عنها ظهور الحرابة[21] وغيرها من الآفات.

يمكن القول من خلال الجدول أن كثرة الموتى وقلة من يقوم بهم كانت من الظواهر المصاحبة للمجاعات إذ وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الدفن من غير صلاة ولا غسل، ومن بعض القرائن المتحدثة عن أكل بعض الناس لبعضهم من الموتى لهو الكارثة بحد ذاتها.

ومع كثرة الفقر والفقراء في مجتمع المغرب الإسلامي، وحدوث الغلاء في العديد من المرات جراء نقص الأقوات[22]، أثر ذلك في حدوث الخسائر البشرية ولو بشكل غير مباشر، لدرجة أن ابن خلدون ذكر أن البدو أكلهم قليل والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم عادة وربما يظن أنها جبلة لاستمرارها، وهذا للتكرار الدوري للمجاعات التي مست البلاد.

فكان أثر المجاعات حتى على المدن الكبرى على غرار البوادي والقرى، فوصل الأمر بأهل تونس سنة (585هـ/1189م) أن أغلقوا البلاد على الداخلين عليها من البادية، لكثرة هلاكهم بالجوع وقلة الأقوات وانعدامها، والغالب فالعلاقة بين الموارد التي تحويها تونس في هذه الفترة والعنصر البشري بها لم تَكُن تفي بالغرض لأهلها وساكنتها، فما البال بالفارين والنازحين إليها من مختلف الحروب والأزمات، وهو كذلك ناتج لطول المجاعات وكثرتها.

كما قدمت لنا المصادر مجموعة من الأرقام والإحصائيات على الخسائر البشرية فأحدثت كوارث في العنصر البشري، أحدثت اختلالا في النمو الديمغرافي، وأدت إلى ظهور العديد من الأمراض والأوبئة التي ستأتي على الكثير من الناس وستخلف خسائر كبيرة، فكانت بذلك علاقة تكاملية تبدأ بحدوث المجاعات وتنتهي بحدوث الأوبئة والأمراض.

لا يستثني الموت أحدا من البشر والحيوان إذ جاء في الشريعة الإسلامية أن لكل الناس أجل، ولا يبقى منهم أحد إلا الله سبحانه، قال تعالى " كُلُ مَنْ عَلَيْهَا فَانْ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِكَ ذُو اَلجَلَّالِ وَالإِكْرَامْ"[23]، والتي ربما خففت من هول هذه الأزمات في ذهن المجتمع، إلا أنها شكلت رعبا وهلعا لدى الإنسان المغربي.

ثانيا: الأوبئة والأمراض:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي الكثير من الأوبئة والأمراض، إذ يعد الوباء والطاعون أهم مرضين على الإطلاق نظرا لقوتهما وفتكهما والخسائر المنجرة عن كليهما: ومع عدم تقدم الطب في العديد من المرات انجر عن هذين المرضين خسائر عظيمة في كل الجوانب وخاصة الجانب الديمغرافي.

إذ يعتبر الوباء ببلاد المغرب من أحد الأسباب الرئيسة في كثرة الوفيات الجماعية، التي عانت من جرائها بلاد المغرب، حيث ارتبطت ببعض الفترات الزمنية، إذ شكل المصطلح مرضا عاما؛ جمع ضمنه مختلف الأمراض كالجذام والطاعون والنقرس وغيرها، كل حسب فتكها وقوتها.

في المعنى اللغوي للفظ **وباء** يعتبر: "كلَ مَرَضٍ عَام"، وجمعه المقصور أَوْبَاءٌ، وجمعه الممدود أَوْبِئَةٌ، وقد وَبِئَتْ الأرض تُوْبَأُ فهي مَوْبُوءَةٌ إذا كثر مَرَضُهَا[24]، وأَوْبِأَتْ الأرض فهي مُوبِئَةٌ، واسْتَوْبَأَتْ الأرض، وجدتها وَبِيئَةٌ [25]. وهو في المفهوم التاريخي: يعتبر مرض عام يصيب الأرض والنسل سريع الانتشار من شخص لآخر عن طريق الماء والهواء، ويدخل ضمنه الطاعون، إذ نجد في المصادر التاريخية الوباء يرتبط بأمراض عديدة، من بينها الطاعون إلا أنها في الغالب لم تفرق بينهما في المصطلح حيث يذكر الوباء تارة والطاعون تارة، وقد أُعتُبِرَا ذَا تأثير واحد – الفتك بالبشرية– إلا أن بعض الدراسات حاولت الفصل بينهما؛ من خلال بعض المظاهر: فذكر أن الطاعون يكون مصحوبا بعقدة عصبية ملتهبة، في حين الوباء لا يتمخض عنه أي التهاب[26].

أرجع ابن خلدون سبب حدوثه وربطه بفساد الهواء وكثرة العمران وكثرة ما يخالطه من الرطوبات الفاسدة والعفن[27]، وهو نفس ما ذهب ابن هيدور في ذكر أسباب الوباء والطاعون في قوله:" يزعمون أن تغير الهواء يكون من تغير الفصول، ويكون بسبب فساد الأبخرة المتعفنة الصاعدة من الأرض، وذلك أنها ترتفع أبخرة فاسدة متعفنة من السباخ ومن البطايح المتغير الهواء والأوخام والتربة الراكدة في الهواء، و أقذار الناس وفضلاتهم، وجيف القتلى في الملاحم الوخيمة والدواب التي

طالها الموتان ... ويحدث الوباء..." [28]، وكذا الغلاء، فإذا ظهر الغلاء واشتدت أسبابه لزم ذلك الكارثة فيشتد الفقر في الناس فتكثر الأمراض والأقراح في الناس ويُعجز عن مداواتها.

كما قد تعرضت الشريعة الاسلامية لهذا المرض فقد أمر رسول الله ﷺ عدم الخروج من الأرض التي وقع بها الطاعون أو الدخول فيها، لما في ذلك من التعرض للبلاء، وحتى يمكن حصره في دائرة محددة، ومنعا لانتشاره. فقد روى الترمذي عن أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ ذكر الطاعون فقال: "الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل – أو على من كان قبلكم– فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه". بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها". [29]

وقد كان اختيارنا للطاعون لسرعة انتشاره، وعظم الخسائر التي يخلفها خاصة في العنصر البشري، إذ عرف المغرب نزيفا ديمغرافيا من جراء الطاعون الأسود سنة (749هـ/1348م)[30]. الذي وصف هوله وآثاره ابن خلدون حين قال: "هذا ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف المائة الثامنة من الطاعون الجارف ... وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ... وانتقض العمران بانتقاض البشر"[31] وبذلك فهو يؤثر على مختلف مناحي الحياة.

سنحاول في هذه الجزئية جرد مجموعة من الطواعين والأوبئة وبيان تأثيرها، على الجانب الديمغرافي خاصة. ومحاولة الإلمام بكل الفترة الزمنية المدروسة.

الجدول 02: تداعيات مرض الوباء والطاعون وحجم الخسائر البشرية لكليهما:

الوباء والطاعون	البلد	التأثير على الأرواح البشرية	المصدر.
وباء سنة 344هـ/955م	مجال المغرب	"كان الوباء العظيم بالمغرب هلك فيه أكثر الخلق"	ابن ابي زرع مصدر سابق، ص 63.
وباء سنة 379هـ/989م	مجال المغرب	"وباء عظيم وأمراض كثيرة "	نفس المصدر، ص93.
وباء وطاعون سنة: 395هـ/ 1004م	افريقية	...هلك فيها أكثر الناس من غني ومحتاج، كان الضعفاء يجمعون إلى باب سالم فتحفر لهم أخاديد ويدفن المائة والأكثر في الواحد، فمات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان مالا يحصى عددهم إلا الله تعالى، وخلت المساجد بمدينة القيروان، وتعطلت الأفران والحمامات.	ابن عذارى، مصدر سابق، ص 265/264.

		ترك من مئة إلى مئة وتسعين قتيل في اليوم مدة سنة وكل من خرج فارا منها توفي في الطريق حتى كاد لم يخرج منها أحد ولا يدخلها أحد.	نفس المصدر قسم الموحدين، ص136.
طاعون سنة571 - 572هـ/1175-1176م.	مدينة مراكش	"...حتى إن الناس لا يستطيعون حملهم إلى الجامع للصلاة عليهم فأمر الخليفة أن يصلي عليهم في سائر المساجد رفقا..." بالناس.	نفس المصدر، ص136.
		"عدد القتلى بلغ بمراكش في اليوم الواحد ألف وسبعمائة نفس"	حسين بولقطيب: جوائح وأوبئة مغرب العهد الموحدي مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب 2002، ص 54، نقلا عن ورقات في التاريخ ورقة 102.
وباء سنة 610هـ/1213م	مجال المغرب	وفيها كان الوباء العظيم بالمغرب	ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 272.
الطاعون العام سنة 749هـ	مجال المغرب	"كان الطاعون العام الذي لم يسمع بمثله حتى قيل أنه مات نصف السكان حتى الطيور والوحوش والكلاب".	ابن عماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، تح: مُحَمَّد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت دمشق، ص 158.
		بلغ عدد القتلى جراء الطاعون في مدينة تونس في بعض الأيام 1201. ومدينة تلمسان 700.	أحمد السعداوي، المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، النتائج الديمغرافية، ضمن كتاب جماعي بعنوان: الديمغرافيا التاريخية في تونس، والعالم العربي، دار سراس للنشر، المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر، تونس، 1993م، ص 42.
وباء سنة 872-873هـ	تونس	حتى بلغ عدد الموتى في اليوم ألفا.	الزركشي أبي عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحق: مُحَمَّد ماضود، المكتبة العتيقة، الزيتونة، تونس، ص158. وابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 139.

تحليل الجدول:

يظهر الجدول امتدادا زمنيا لمجموعة من الأوبئة الهالكة، والطاعون التي عمل أهل المغرب على التعايش معها خاصة أنها كانت تتكرر في القرن الواحد مرة أو مرتين، بينما شكل الطاعون الجارف خلال منتصف القرن الثامن، نقلة نوعية في عدد الأوبئة وازدادت خلال القرن الواحد، فأصبحت لا يفصل بينها حسب ذكر حسن الوزان إلا سنوات عديدة[32]،

وبذلك حدث اختلال في التوازن الديمغرافي فكثر عدد الموتى، وتناقصت الولادات نظرا إلى عدم توفر الظروف الملائمة فكان بذلك نقص في العنصر البشري مع عدم الزيادة، فينجر عنها الكارثة.

تقدم لنا المصادر بعض الإحصائيات والتي مثلت عدد الوفيات وحددتها بالأرقام في بعض المدن، في حين غيبت مدن أخرى، بينما رصدت مصادر أخرى الكارثة بتعابير لغوية تعبر عن هول الفاجعة وعن الخسائر البشرية: "هلك خلق كثير" " مات نصف السكان" "هلك فيه أكثر الناس" "وباء عظيم" " الطاعون الذي لم يسمع مثله" "الطاعون الجارف" وذكر أخر وهلك من الناس ما لا يحصيهم إلا خالقهم، فكان بذلك يعصب علينا إعطاء إحصائيات رسمية نظرا لانعدام الوثائق والإحصائيات. إلا أن بعض الفترات شكلت نزيفا ديمغرافيا عظيما خاصة حين يؤرخ للطاعون الأسود خلال القرن الثامن فقد أسهبت المصادر في ذكره وذكر آثاره.

واجه المجتمع المغربي الأوبئة والطاعون بكثير من الاستسلام والجهل، فكان سبب حدوثها مجهول، وعجز الناس عن التعامل معها ولا كيفية مواجهتها فكانت غامضة في عين العلماء والأطباء، وحدث أن الناس تهرب ممن أصابه المرض، فذكر ابن قنفذ عن تلامذة والده لما ضرب الوباء البلد –قسنطينة– أنهم كانوا يهربون ممن يصاب به[33]، خوفا من الموت وهروبا منه، وذكر المراكشي عن وباء 572هـ/1176م أن من كان يهرب منهم في الغالب يموت في الطريق ولا يصل مبتغاه[34].

حين نقوم برصد الفترات الزمنية التي دامت خلالها هذه الأوبئة لسنوات عديدة نخلص إلى مدى هول هذه الكوارث على العنصر البشري خاصة حين تطول مدة الوباء وتزداد تراكماته وخسائره، فوباء (395هـ/1004م) دام حوالي العام من أوائل ذي القعدة حتى منتصف السنة التالية، وكذا وباء (571–572هـ/ 1175/1176م) بمراكش دام سنة كاملة بكل الخسائر السالفة الذكر، إلى ذلك فالطاعون الجارف الذي مس بلاد المغرب شكل أكبر فاجعة في تاريخ المغرب والعالم الإسلامي، فتذكر المصادر أنه دام لخمس عشرة سنة كاملة. فشكل بذلك اختلالا في توازن العنصر البشري، والذي يتحكم فيه – التوازن – كثرة الوفيات ونقص الولادات، فذكر المقريزي أنه ما ولد أحد في هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه...[35] والغالب أن عقد الأنكحة يصبح قليل الحدوث في هذه الفترات نظرا للأسباب سالفة الذكر.

من خلال وبائي القرنين السادس ومنتصف القرن الثامن نجد ذكر لبعض أعراض الطاعون إذ نفرق بين نوعين من الوباء، الأول بمراكش سنة (571– 572هـ/1175/1176م) الذي ذكر ابن زرع عنه: أن الميت به لا تظهر عليه أي أعراض ولا أمراض، بينما نجد الطاعون الثاني الذي حدث خلال منصف القرن الثامن سنة (749هـ/1348م) تميز بظهور أعراض خارجية كالدماميل والخراجات ونفث الدم للميت حين موته، وهو ما سماه المقريزي الطاعون الدملي أو العقدي[36].

شكلت العلاقة بين المجاعات والأوبئة علاقة عامل مؤثر وآخر متأثر، فبحدوث المجاعات ينجر عنها بصفة طبيعية الأوبئة والأمراض، فتذكر العديد من المصادر المجاعة وتربطها بالطاعون أو الوباء، فَتُحدِثْ — المجاعات – بذلك الكارثة، إضافة للفقر المستشري في المجتمع المغربي، والذي ينجر عنه نتائج كارثية بحدوث الأوبئة.

إضافة إلى كل تلك الخسائر فقد تأثر الجانب الحضاري والثقافي وتعرض لخسارة كبيرة خلال هذه الأوبئة والمجاعات وذلك بفقد العديد من أعلامه وفقهائه خاصة خلال القرن الثامن الهجري جراء الطاعون الجارف، يمثل الجدول التالي بعض الأعلام الذين هلكوا بمختلف الأوبئة والطاعون والتي مست بلاد المغرب.

الجدول: 03: أعلام هلكوا بالطاعون والوباء:

السبب	المكان	العلم المتوفي وسنة وفاته	المصدر.
الطاعون	مراكش	أبوا سعيد بن الحسن، أبو حفص بن يحي الهنتاني، (ت571هـ/1175)	ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ص136
الطاعون	تلمسان	مُحَمَّد بن العباس بن عيسى العبادي (ت871هـ/1466م)	ابن مريم، الشريف المليتي المديوني التلمساني (1014هـ-1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: مُحَمَّد أبو شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.ص245. التنبكتي، أحمد بابا، (ت963هـ-1036م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الصمد عبد الله الهرامة، منشورات، كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس ليبيا، 1989: ص 547.
الطاعون	تلمسان	أحمد بن زكري التلمساني لم أجد تاريخ وفاة	الشفشاوي: مُحَمَّد بن عسكر الحسني(ق10هـ/16م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من المشايخ القرن العاشر، تح: مُحَمَّد حجي، دار المغرب، الرباط، 1977م، ص 121.
الوباء	تونس	أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد النور التلمساني. (ت749هـ/1348م)	ابن مرزوق مُحَمَّد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في ذكر مآثر ومحاسن مولا نابي الحسن، تح: ملرية خيسو سبغرية، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م. ص 267.
الوباء	قسنطينة	حسن بن علي بن الخطيب والد ابن قنفذ، (ت750هـ/1349م)	ابن قنفذ: أبو العباس احمد(810هـ/1407م)، الوفيات، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق، ط4، بيروت،1983، ص 354. وابن قنفذ، أنس الفقير، مصدر سابق، ص 47.
طاعون	تونس	الشيخ أبوا عبد الله مُحَمَّد بن عبد السلام الهواري، أبوا عبد الله بن هارون، (ت750هـ/1349م).	نفس المصدر، ص 352. 354.
الطاعون	مكناسة	مُحَمَّد بن عمر بن الفتوح التلمساني	التنبكتي، مصدر سابق، ص498.

		(ت828هـ/1425م).	
الوباء	تلمسان	الشيخ يوسف بن اسماعيل، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغوا المغراوي التلمساني (ت845هـ/1441م).	نفس المصدر، ص72.
الوباء	تلمسان	مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن موسى الوجديجي المدعو بالصغير (ت981هـ/1573م)	ابن مريم، مصدر سابق، ص 282.

كذلك فقد عجز الأطباء عن معالجة مختلف هذه الأمراض والأوبئة ووقفوا في حيرة منها أمام قوتها وفتكها، وقلة أليات الاستشفاء منها، فكان الناس يلجؤون لتبديد حيرتهم إلى الجانب الشرعي والفقهاء، خاصة برجاء الدعاء والبركة.

تعتبر الشريعة الإسلامية المتوفي بالطاعون "شهيدا"، حيث روي عن رسول الله ﷺ: قال " الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله... وذكر، المطعون شهيد..."[37]، فبذلك كان العقل الجمعي للناس لا يتأثر كثيرا بالموت، خاصة حين يتم ربطها بالجانب الشرعي والشهادة.

2.2 الأزمات السياسية

يتضمن دراسة في مختلف الحروب التي حدثت ببلاد المغرب وبحث تأثيراتها على الجانب البشري، إضافة لمجموعة من الأزمات السياسية متمثلة في الحصار على بعض المدن ومختلف الأزمات السياسية

الحروب وأثرها على الجانب الديمغرافي.

الحروب: جمع مفرده حرب، وهو نقيض السلم، والصفة منها مقاتلة، والحَرَبُ: بالتحريك هي نهب مال الإنسان وتركه لا شيء، وهي بمعنى القتل والهرج، ودار الحرب: بلاد المشركين[38]، وهو الويل و الهلاك، في الاصطلاح التاريخي ظاهرة اجتماعية سائدة في المجتمع منذ القدم، تجمع بين فئتين متقاتلتين من البشر، تحكمه في الغالب مجموعة من النظم والتنظيمات، يتخذ الصراع الدموي وسيلة لتحقيق أهدافه، فينتج عنه آثارا عامة في الجماعات التي تمارسه، والمجتمعات التي يحدث فيها، فيخلف خسائر عظيمة في كل الجوانب، خاصة في العنصر البشري المستهدف الأول من هذه الحروب،[39] يُحصِي ابن خلدون أسبابها – الحروب – في قوله: "...لم تزل – الحروب – واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إما الانتقام، أو الغيرة والمنافسة، وإما عدوان ، وإما غضب لله ولدينه ، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده[40]"، إضافة لقيام بعض الحروب نتيجة لنقص المجابي، وتدهور الأحوال في البلد، وهي أسباب الحروب بمغرب العصر الوسيط، فكانت الحروب ظاهرة دائمة وأساسية في قوة الدول وضعفها، وقيامها وسقوطها، فنهاية المرابطين بدت في الأفق بعد هزيمة الأمير تاشفين بن علي على يد الموحدين في وهران[41]. بينما كانت بداية للموحدين، والأمر نفسه بعد معركة حصن العقاب التي

كانت تعبر عن نهاية الموحدين، وقد كانت الحروب تقع على الصعيدين الداخلي والخارجي، في بلاد المغرب وخارجها[42]، صور أحد الباحثين أثر الحروب بأنها التي تكون فيها الخسائر البشرية المقياس الكمي الأكثر اعتبارا دون غيره من المقاييس[43]. وإذا كنا نجهل عدد الضحايا في الحروب لندرة الإحصائيات الرسمية، إلا أن بعض القرائن الآتي ذكرها في الجدول رقم 04، تبين خسائر وضحايا الحروب تلزم جيل من الزمن لتعويضها.

الجدول رقم 04: الحروب وأثرها على المجال الديمغرافي والبشري:

الأزمة السياسية وزمنها	مكانها	زمنها	أثرها على الجانب الديمغرافي
الحرب بين أبي الخطاب وابن الأشعث	تاورغا[44]	"... واشتد القتال فكان الرجال بين الصفين تنهدم كالحيطان ... كانوا في أربعة عشر ألف ...فلم ينج من القتل إلا اليسير..."	الدرجيني، المصدر سابق، ص34.
دخول عبد الله الشيعي. (296هـ/908م)	تاهرت	قتل فيها من الرستميين عددا كبيرا، وقتلوا الرجال والنساء والذرية.	ابن عذارى، مصدر سابق، ج1 ص152.
زحف ابوا عبد الله الشيعي على إبراهيم بن أبي الأغلب (296هـ/908م)	الأربس	وقيل قتل داخل الجامع ثلاثين ألف رجل.	نفس المصدر، ج1، ص147
هزيمة مخلد بن كيداد سنة [335هـ/946م].	القيروان	"... أن قتلاهم غطت الأرض... فقتل فيها مالا يحصى ... وليس إليَ إحصاء من قتل سبيل لكثرتهم..."	الداعي إدريس عماد الدين (ت 872هـ/1488م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحق: مُحَمَّد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان، د ت، ص 382، 378.
		"... فقتلوا من وجدوا بها . الأخبية . تأخذهم ضربا بالأعناق ... ونادى منادي الإمام " من أتى برأس فله ربع دينار " ... فزادت عن عشرة آلاف رأس..."	
قضية **التمييز**[45] في العهد الموحدي [518 .519هـ/ 1124.1125م].		" بلغ عدد قتلى عملية التمييز ما يناهز سبعين ألفا."	ابن القطان المراكشي، أبي مُحَمَّد حسن بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الملك الكتامي، (منتصف القرن السابع الهجري)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1990م/1410هـ، ص146.
حرب الموحدين [540هـ/1145م]		"...قتل منهم خلق كثير ... فأدركوهم وقتلوهم قتلا ذريعا ..."	

حصار عبد المؤمن مراكش [541هـ 542هـ/1145.1146م].	مراكش	"...ومات منهم بالجوع ما ينيف على مئة وعشرين ألف... وهلكوا جوعا وأكلوا الجيف وتمادى القتل من البكرة حتى الزوال..."	مُحَمَّد بن سعيد الخطيب: مصدر سابق، ص104.102.
حملة أبوا زكريا الحفصي [541هـ 542هـ/1145.1146م].	تلمسان	وكانت بعد الحصار الحرب "...وقتل مما صح عندي نيف على سبعين ألف رجل..."	نفس المصدر، ص104.102.
معركة تلاغ بين المرينيين (الخليفة يعقوب) والزيانيين (يغمراسن) [666هـ/1267م].	تلاغ	"... فكانت بينهم حروب عظيمة... فتمكنوا من رقابهم . بني زيان . فدام القتال من صلاة الضحى إلى صلاة الظهر... ورماحه تشرع فيهم وسيوفه تعمل في رقابهم..."	ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 306.
موقعة إيسلي[46] وهزيمة يغمراسن بوادي تلاغ 670] 671هـ/1272.1273م].	وادي تلاغ	"...قتل ابن يغمراسن أبوا عنان فارس... ونفر من كبار أهله ... حتى قتلوا جميعا..."	ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي (404هـ/1404م)، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،2001. ص21.
		"...فهزموهم وأذاقوهم الحمام[47] في ذلك الوادي ...فما منهم الا قتيل وجريح أو خائف ..."	
الحصار المريني على تلمسان. (698هـ/1298م)	تلمسان	"... واستمر مئة شهر..."	الناصري أبوا العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، ج3، تحق: جعفر الناصري، مُحَمَّد الناصري، دار الكتابن الدار البيضاء المغرب، 1954، ص79
		يقال أنه قتل من الفريقين ثمانون ألف...".	الزركشي، المصدر السابق، ص73.
		"...عدد موتى أهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مئة ألف وعشرون ألفا..."	يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج1 ص 125.
حملة أبوا فارس [796هـ/1393م 836هـ/1432م].	تلمسان	"...وقتل الجنود الذين قاموا بمقاومته..."	روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1988. ص257.

تحليل الجدول:

نرصد من خلال الفترة المدروسة العديد من الحروب التي كان عددها رهيبا فقد لا تحصى نظرا لكثرة الصراعات القائمة بين الدول القائمة في بلاد المغرب، وكثرة العصبيات والقبائل المتناحرة، غير أننا قمنا بإحصاء بعض منها والتي كان لها تأثير كبير على العنصر البشري في بلاد المغرب.

شكل دخول العنصر الفاطمي بلاد المغرب تأجيجا للصراعات الدامية، حيث كان كل أهل المغرب بفقهائه وعلمائه وسلطته تنبذ هذا الدخيل- مذهب جديد وسلطة جديدة- خلفت حروبا عديدة وخسائر بشرية كبيرة، حاول الفاطميون خلالها إخضاع بلاد المغرب بالقضاء على السلطات السياسية الثلاثة، الرستميين، والأدارسة والأغالبة أدى ذلك إلى خسائر كبيرة في عدد الموتى.

كان المحفز لهذه الحروب كثرة العصبيات القبيلة والدينية، وكذا سقوط بعض الدول وقيام أخرى على أعقابها.

يقدم لنا المؤرخون أعدادا مهولة لعدد القتلى، فنجد مما أوردناه إحصائيات عددية في الغالب وهي تعبير عن هول الحروب وتأثيراتها، إلا أنها لا تعطي صورة دقيقة عن الوفيات التي تخلفها هذه الحروب والغارات من القتلى، بل يلاحظ وجود اختلاف حتى في الأعداد المعطاة لعدد القتلى، بين مصدر وآخر عالجا نفس الحادثة، وكذلك بعض المصادر لا تعطي أعداد إنما انطباعات وتعبيرات متشابهة، فهي تلمح لكثرة الوفيات وكثرة الخسائر وتأثيرها على مختلف الجوانب، نذكر منها:" قتلهم جميعا"، "قُتل منهم عدد كثير"[48]، "قُتلا منهم.." إلا أنها لا تعطينا تقديرا عدديا. ولعل أهم مشكل يعترض الباحث في الفترة الوسيطية هو مشكل العدد أو "أزمة العدد"، وهذا لكون الديمغرافيا التاريخية في هذا العصر بخلاف الديمغرافيا المعاصرة التي استطاعت أن تعبر عن مختلف الظواهر بلغة الأرقام[49].

. القتلى في الحروب لا يميز بين نساء ولا رجال ولا أطفال. وغالبًا ما تكون عواقبها ومخلفاتها كارثية على كل المستويات ينجر عنها أزمات طبيعية واجتماعية لعل أبرزها المجاعات والفقر والأمراض وغلاء الأسعار، فتكون العلاقة بين ما سبق ذكره من مجاعات وأوبئة وحروب علاقة تكاملية هي الأخرى، فكل أزمة تتسبب في حدوث الأزمات الاخرى.

في العهد الموحدي كانت عمليات التقتيل الجماعية بصبغة دينية بحتة وهو ما يبينه شعر الخليفة عبد المؤمن بن علي لما قتل خلقا كثيرا بمراكش سنة: [540هـ/1145م] حيث قال حين قام بفتحها واعتبرهم مجسمة وخارجون عن الدين:

هو الفتح لا يجلوا غرائبه الشرح أصاب بني التجسيم من يأسه ترح

أتتنا به البشرى على حين غفلة بمهلك قوم كان وعدهم الصبح [50]

كذلك شكلت الحروب بين الدويلات المنفصلة عن الدولة الموحدية أزمات هي الأخرى، نظرا لتتابعها ومحاولة كل دولة السيطرة وفرض نفوذها على الدول الأخرى. أسهمت في حدوث العديد من الحروب: كموقعة ايسلي وموقعة تلاغ. والعديد من الحروب. والتي خلفت الكثير من الخسائر البشرية. [51]

ثانيا: الأزمات السياسية حادثة الاعتراف أنموذجا:

إن المتتبع لتاريخ الموحدين يتعرض لأزمة سياسية كبيرة عرفتها بلاد المغرب، تمثلت في حادثة **الاعتراف**[52]: التي كانت سنة [541هـ]، أدت إلى تناقص رهيب في المجال الديمغرافي خلفت خسائر كبيرة خاصة في الرجال دون النساء في مختلف القبائل حيث كان ابن تومرت يعطي صحفا للمكلفين عن كل قبيلة لتصفية الفئة الخارجة عن حكمه.

الجدول 05: القبائل المنكوبة وعدد القتلى

قادة الحملة	القبيلة المعاقبة/ البلد	عدد القتلى
مُحَمَّد بن مضكاط وعبد الله بن مالات	زكراكة / رجراجة	800
صهر أبي سعيد وعثمان بن مناد	حاحة	800
مُحَمَّد بن أبي بكر وابن تمولي	السوس	600
ومصال بن ودرغ وأبي عمران موسى بن وميان	إينكيست	600
موسى بن عيسى والحسن بن سليمان	كزولة	500
سليمان بن ميمون وعلي بن يحي وكمات بن عثمان وعبد الله بن يومور	هسكورة	2500
عمر بن ميمون وعبد الله بن داوود ومحد بن توفاوت وسليمان بن تيزنكاط	تادلا	500
أبوا بكر بن الجبر	صنهاجة وجراوة	1000
آك أنكي.	زناتة فازاز	6000
أبي سعيد يخلف بن آتيكيو محد بن يحي الكدميوي	صاريوة وبني مكود	12000
مُحَمَّد بن يحي	قتل داخل الرباط	800
أبي مُحَمَّد عبد الله بن سليمان ويحي بن توكرورين	غمارة	900
يوسف بن سليمان وعبد الله بن خيار الجياني	لفاس ومكناسة	580
عبد الله بن فاطمة اللمتوني وأبي تونارت	تامسنا	600
اسحاق بن عمر الهنتاني	دكالة	600
الحسن بن المعلم وعلي بن يخلف	هيلانة	800
زكريا بن سعد الله الوريكي.	وريكة وهزرجة	250
يحي بن سحنون وعبد الكريم الغيغائي	جاغة	150
يحي الدرعي وعبد الصمد بن تادارات والد يرزيكن	درعة	600

المصدر: البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، د ط، الرباط المغرب، 1971، ص 69 . 72.

تحليل الجدول:

الجدول يمثل كارثة في حق مجتمع المغرب الأقصى خاصة، والقبائل المعاقبة التي رفضت اعتناق الدعوة الموحدية، ما دفع لإخضاعها بالقوة وما قتل الفحامين الا تبرير للتملص من مسؤولية الخسائر.

وقد خص القتل الرجال دون النساء وهو ما سيساهم بشكل كبير في إختلال توازن الهرم السكاني ما بجعل الإناث أكبر من الذكور ويؤثر في انتشار الآفات الاجتماعية كالبغي والترمل وما نتج عنها من كثرة السبايا والإماء[53]. في حين يعالج كتاب الموحدين القضية من باب فقهي بحت؛ حيث يذكر صاحب كتاب أخبار المهدي أنه ".. تم الاعتراف بحمد الله وعونه ..."[54].

حيث كان يرى الموحدون أنهم على حق وأنهم أصحاب العقيدة الصحيحة أما غيرهم فليسوا سوى مجسمة كفار تجب محاربتهم[55].

3. خاتمة:

في الأخير يمكن القول ان الموت الجماعي في بلاد المغرب الإسلامي كما هو الحال في باقي بلدان العالم أثرت فيه العديد من الأسباب والعوامل كانت معظمها ذا تأثير كبير على مختلف الجوانب إلا أن الجانب المتضرر منها كان الجانب الديمغرافي. وقد أجملها ابن خلدون في {مجاعة، وباء، حروب}.

حاولنا من خلال الجداول السالفة الذكر إجراء رصد ولو تقديري للأعداد الهائلة للخسائر من خلال جرد لأهم وأكبر الأزمات التي مست بلاد المغرب في الفترة المدروسة. هيث شكلت كل أزمة كارثة ديمغرافية، بينما من خلال الجداول سالفة الذكر؛ نستنتج من خلالها أن أكبر الخسائر في العنصر البشري، ونجد من خلالها الإحصائيات والأرقام أن الخسائر المنجرة عن الحروب كانت أكبر بكثير من المجاعات والاوبئة.

تتابع الأزمات والكوارث سالفة الذكر والعلاقة التكاملية التي تحكمهم أسهمت في حدوث أزمات ديمغرافية رهيبة انجر عنها تعطل الحياة اليومية في بعض المدن، وبذلك تؤثر في طول الكارثة والأزمة خاصة زمن حدوث أزمات المجاعات والأوبئة وانعدام الأمطار. فلا تتوفر الظروف الملائمة لعودة الحياة وتكون بداية لحدوث كوارث أخرى، وهذا ما نجده في مدينة القيروان سنة (395هـ/1004م) جراء الطاعون الذي أصاب البلد حيث أن المساجد خلت من مصليها، وتعطلت الأفران والحمامات، وهذا لسبب الوفيات الكثيرة.

حدث جراء هذه الأزمات تقهقر وتراجع عظيم في عدد السكان في كل بلاد المغرب الإسلامي دون ذكر منطقة وترك أخرى، ذكرت إحدى الدراسات المغربية أن سكان المغرب الأوسط خلال نهاية الفترة الوسيطة تقريبا كانت ما بين المليونين أو مليونين ونصف، وهو تقريبا حال المغربين الأقصى والأدنى.

بالرجوع للأعداد سالفة الذكر للخسائر فهي تخص منطقة واحدة دون ذكر المناطق الأخرى؛ فنجد" مات سبعين ألفا"، "ومات مئة وعشرين ألفا جوعا وعطشا"، وفي حادثة الاعتراف كانت الخسائر حوالي ثلاثون ألفا، هذه الأعداد وأخرى كثيرة؛ تمثل تفسيرا منطقيا للنتيجة السابقة.

كانت من هول الخسائر البشرية تحول بعض المناطق إلى مراكز للجوع كمدينة برقة خلال منتصف القرن الخامس إثر الغزو الهلالي، فكان الناس يمرون بالخيام وهي مضروبة وجميع من فيها موتى من رجال ونساء وأطفال، وأكلوا لحوم بعضهم من الأموات وهذا لاتساع مجال الأزمة والمجاعة.

لم يكن تأثير هذه الأزمات والكوارث على العنصر البشري فقط بل تعداه إلى العديد من المجالات كالمجال الاقتصادي والثقافي والعلمي وغيرها من المجالات كان تأثير هذه الأزمات على كل الجوانب الاقتصادية والبشرية.

بالرغم من وجود إحصائيات في العديد من المصادر بذكر أعداد مجردة في أغلب الأحيان إلا أنها لا تحمل الباحث على إيجاد أرضية لدراسة تقريبية للديمغرافيا التاريخية المغربية، خاصة حين تجد أن بعض المصادر في تأريخها لنفس الحادثة تختلف في ذكر المخلفات، بالرغم أنه من الممكن الاستفادة من هذه النقطة في إيجاد عدد نسبي صحيح للخسائر البشرية.

في الأخير دراسة الديمغرافية التاريخية لبلاد المغرب في العصر الوسيط أمر يستعصي على العديد من الباحثين وهو راجع بالتحديد إلى قلة الإحصائيات وانعدامها في العديد من المواضع، عكس الديمغرافية المعاصرة، وهي تحتاج إلى تكاثف جهود المؤرخين لمحاولة دراسة هذا الجانب المغيب من الدراسات من خلال إطلاق مشاريع كتب مشتركة بين الباحثين، أو جعل هذا الموضوع كمشاريع دكتوراه.

4. الهوامش:

[1] ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم : لسان العرب ، ج2 ، دار صادر ، بيروت ، (د، ط) ص431. الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، تحق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف مُحَمَّد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، (د ط) ، ص641.

[2] ابن منظور، معجم سابق، ج1، ص 368.

[3] الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد (398هـ/1007م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحق: احمد عبد الغفور عطار ، ج3 ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط3، 1984، ص1201.

[4] سورة البلد، الآية 14.

[5] ابن منظور ، معجم السابق، ج1 ، ص368.

[6] إبراهيم: القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان (د ط)، ص201

[7] وتكون بسبب الأوبئة والطواعين، وما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة. ينظر: ولي الدين عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون (ت808هـ)، تحق: عبد الله مُحَمَّد الدرويش، دار يعرب، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص 499.

[8] قال تعالى: "أو إطعام في يوم ذي مسغبة" سورة البلد، الآية 14.

[9] حيث من تأثير نقص الأغذية بلغ ثمن القفيز من القمح سنة (630هـ) ثمانين درهما. وبلغ سنة (693هـ) المد من القمح 10 دراهم والدقيق ست أواقي بدرهم. ينظر: ابن أبي دينار: أبي عبد الله الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها، تونس، ط1، 1286هـ. ص 122.

[10] سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الاوسط (588-927هـ/ 1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري – قسنطينة 1-، الجزائر، السنة 1429-1430/2008-2009.ص 15.

[11] هو: احتباس المطر وهو الجدب، قحوط المطر وهو محتاج اليه، وأقحط الناس اذ لم يمطروا. ينظَر: ابن منظور المعجم السابق، ج 7.ص 386.

[12] ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج9، تحق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (ط 1) 1407هـ/1987م، ص179.

[13] عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس [ق6. ق8]، دار الطليعة بيروت لبنان، ط1 2008.ص22.

[14] هذا النص يبين أثر غلاء الأسعار خاصة على الفئة المعدومة من الناس، ابن الاثير، مصدر سابق، ص 350. كذلك يمكن أن نجد من خلال النص سببين لغلاء الأسعار إما لنقص الغذاء وانعدامه – عامل طبيعي- أو لاحتكاره وبعض الممارسات التي يقوم بها الإنسان- عامل يتحكم فيه الإنسان- فيذكر الونشريسي في نوازله أن ورثة خالفوا وصية وليهم بأن يخرج من ماله ثلاثمائة قفيز شعيرا فباعوا التركة ولم يصرفوا منها شيئا في حقها وذكر أنه هلك في هذه الشدائد خلق من الناس. ينظر: الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحيى (914هـ/1509م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، ج 9 ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، (د ط)، 1981م. ص 508.

[15] كثيرة هي القرائن والنصوص التي توثق إلى لجوء سكان المغرب للمتصوفين والفقهاء الذين اشتهروا بقبول الدعاء وسرعة الاستجابة ما أكسبهم مكانة كبيرة لدى المجتمع وأصبحوا ذووا مكانة مقدسة في المجتمع.

[16] التادلي: أبوا يعقوب يوسف بن يحيى (617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحق: أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط2، 1997، ص183.

[17] ابراهيم بوتشيش، مرجع سابق، ص201.

[18] : الخطيب: مُحَمَّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد (ت713هـ/1232م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحق: سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ص102.104.

[19] عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د ط، 1421هـ/2000م، ص21.

[20] الفارين إلى تونس أما زحف ابن غانية على جزيرة باشوا بالقرب من تونس.

[21] الحرابة: قطع الطريق وهي البروز لأخذ المال أو لقتل، أو لإرعاب الناس، واعتمادا على القوة وسببها في الغالب وانعدام الأقوات وقلتها. ينظر: أبوا مالك كمال بن السيد سالم، صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ج4، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، ط1، ص 139.

[22] مراحل حدوث المجاعات: طوال الجفاف وقلة الأمطار، تقل الحبوب، غلاء الأسعار، المجـاعة.

[23] . سورة العنكبوت: الآية .57.

[24] ابن منظور، مصدر سابق، ج1 ص 179.

[25] الجوهري، معجم سابق، ص79.

[26] عبد المالك: بكاي ، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 07 10هـ/ 13م16م ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، السنة الجامعية، 2014/2013.

[27] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص500.499.

[28] عبد المالك: بكاي مذكرة سابقة، ص161. نقلا عن ابن هيدور: مقالة في الامراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية، مخ بمكتبة آل سعود الدار البيضاء، المملكة المغربية، ضمن مجموع تحت رقم 1/364 ص 2 . 3.

[29] أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، (ت256هـ) صحيح البخاري، دار ابن كثير ، ط1 ، دمشق بيروت ، 1423هـ/2002م . حديث رقم 3473. ص 862.

[30] مصطفى: نشاط اطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني ،كلية الآداب ، وجدة المغرب، ط1، 2003. ص 123.

[31] ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، مصدر سابق، ج5، ص61.

[32] "... ويظهر الوباء في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات، أو خمس عشرة أو خمس وعشرين سنة...". ينظر: الوزان: حسن بن محمّد الفاسي (ت975هـ/1550م): وصف إفريقيا، ج1، تر : محمّد حجي ومحمّد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت لبنان ، 1983م ، ص 86.

[33] . ابن قنفد : أبو العباس احمد(810هـ/1407م) ، أنس الفقير وعز الحقير ، تح : مُحَمَّد الفاسي وادولف فور ، ط3 ، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م. ص354.

[34] ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، جزء الموحدين، ص136.

[35] بالرغم من ذكر المقريزي في هذا الشاهد لمصر بينما في الغالب أن نفس الظروف كانت في كل المناطق نظرا لطبيعة الطاعون المشتركة ولشدته وشموليته لكل المناطق. ينظر: المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (845هـ/1441م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 4 ، تحق: مُحَمَّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1997 . ص 88.

[36] للاستزادة عن مظاهر الطاعون الجارف ينظر: المقريزي ، نفس المصدر ، ص 80 – 90.

[37] أبوا داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت275هـ/888م)، سنن أبي داود ، تحق: شعيب الأرناؤوط وأخرون ، ج05 ، دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة، دمشق الحجار، 1430/2009هـ، حديث رقم 3111 .

[38] ابن منظور ، معجم سابق ،كلمة حرب ، ص 303.

[39] للاستزادة في موضوع الحروب وتعريفاتها ، ينظر : حميد: تيتاو ، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء المغرب، (د ط) ، 2010.

[40] ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص457

[41] ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص20 21.

[42] أنظر الجدول رقم 04.

[43] حميد تيتاو ، مرجع سابق ، ص 35-38.

[44] هي على مسيرة ثمانية أيام من طرابلس. ينظر: الدرجيني : أبي العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1271م) ، طبقات المشايخ بالمغرب ، ج1 ، تحق: إبراهيم طلاي. (د ط) ، (د س) ، ص34.

[45] حيث لاحظ ابن تومرت أن الشك بدأ يراود أذهان أفراد القبائل المبايعة له حول "العصمة"، ينظر: حسين بولقطيب، مرجع سابق، ص94.

[46] مدينة في بسيط وجدة وبها نهر يحمل نفس الاسم، وهي على مقربة من وهران. ينظر : الحميري: أبوا عبد الله مُحَمَّد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 710هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحق: احسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط2 ، 1984م، ص 58.

[47] مصطلح من المصطلحات الدالة على الموت.

[48] الدرجيني ، مصدر سابق ، ج1 ، ص76.

[49] للاستزادة ينظر إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، مرجع سابق، ص54 وما بعدها. كذلك مقال لمؤلفه إبراهيم لحسن، بعنوان جوانب من ديمغرافية المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) خلال نهاية العصور الوسطى وبداية الفترة الحديثة من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الفاسي المعروف ب: ليون الإفريقي (ت بعد سنة 957هـ/1550م) مقال منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 35، العدد 01 السنة: 2021.

[50] ابن عذارى: البيان المغرب ق.م. مصدر سابق ، ص26.

[51] للاستزادة ينظر مقال: سالم أبوا القاسم غومة، العلاقات السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط مقال منشور في مجلة الجامعة العدد الثامن عشر المجلد الثاني ماي 2016م.

[52] وهي أن بعض أهالي مكناسة أقدموا على قتل مجموعة من العناصر المكلفة بجمع الفحم من إحدى الغابات المطلة على فاس، فبعد استشارة عبد المؤمن لمجلس الشيوخ أمر بحملة تطهيرية شملت البوادي والحواضر التي تعادي الموحدين. ينظر: الحسين بولقطيب، مرجع سابق، ص95.

[53] الحسين بولقطيب، مرجع سابق، ص96.

[54] البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، د ط، الرباط المغرب، 1971، ص 72.

[55] الحسين بولقطيب، مرجع سابق، ص92.

5.المصادر والمراجع:

1. ابن أبي دينار، أبي عبد الله الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها، ط1، تونس، 1286هـ.
2. ابن أبي زرع: علي الفاسي، (كان حي سنة 729هـ/1328)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، تر: كار يوحن، دار الطباعة للنشر والتوزيع، الرباط المغرب. 1972.
3. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج9، تحق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية.
4. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي (404هـ/1404م)، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د ط ،2001.
5. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي (404هـ/1404م)، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د ط ،2001.
6. ابن القطان المراكشي، أبي مُحَمَّد حسن بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الملك الكتامي، (منتصف القرن السابع الهجري)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1990م/1410هـ.
7. ابن القطان المراكشي، أبي مُحَمَّد حسن بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الملك الكتامي، (منتصف القرن السابع الهجري)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1990م/1410هـ.
8. ابن خلدون عبد الرحمن بن مُحَمَّد (808هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحق: عبد الله مُحَمَّد الدرويش، دار يعرب، سوريا، ط1.
9. ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000م.
10. ابن خلدون: أبو زكريا يحيي (ت780هـ- 1378م) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، طبع بمطبعة بيرفونطانة الشرقية، الجزائر، 1903.
11. ابن عذاري المراكشي (كان حيا 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. سكولان و إ. ليفي برفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.
12. ابن عماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: مُحَمَّد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت دمشق.

13. ابن قنفد: أبو العباس احمد(810هـ/1407م)، أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وادولف فور، ط3، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.

14. ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في ذكر مآثر ومحاسن مولا نابي الحسن، تح: ملرية خيسو سبغرية، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م. ص 267.

15. ابن مريم، الشريف المليتي المديوني التلمساني (1014هـ-1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد أبو شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.ص245.

16. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، د ط، ص431.

الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ص641.

17. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(398هـ/1007م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحق: محمد محمد تامر، دار الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.

18. أبوا داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت275هـ/888م)، سنن أبي داود، تحق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ج05، دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة، دمشق الحجار.

19. البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، د ط، الرباط المغرب، 1971.

20. البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د ط)، الرباط المغرب، 1971.

21. التادلي أبوا يعقوب يوسف بن يحي (617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحق: أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب ط2، 1997.

22. التجاني أبو عبد الله بم محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس 1981.

23. التنبكتي: أحمد بابا، (ت 963هـ/1036م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، نشر دار الكاتب، ط2، طرابلس ليبيا.

24. التنبكتي، أحمد بابا، (ت963هـ-1036م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الصمد عبد الله الهرامة، منشورات، كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989: ص 547.

25. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ج3، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1984، ص1201.

26. الخطيب مُحَمَّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد، (ت713هـ/1232م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحق: سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب.

27. الداعي إدريس عماد الدين (ت 872هـ/1488م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحق: مُحَمَّد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان، د ت.

28. الدرجيني: أبي العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تحق: إبراهيم طلاي. (د ط)، (د س).

29. الزركشي أبي عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحق: مُحَمَّد ماضود، المكتبة العتيقة، الزيتونة، تونس (ط2).

30. الشفشاوي: مُحَمَّد بن عسكر الحسني(ق10هـ/16م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من المشايخ القرن العاشر، تح: مُحَمَّد حجي، دار المغرب، الرباط، 1977م، ص 121. الدرجيني: أبي العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تحق: إبراهيم طلاي. (د ط)، (د س).

31. صعد التلمساني، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري (ت901هـ-1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحق: يحي بوعزيز، منشورات أناب، الجزائر، ط1، 2002م.

32. المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 4، تحق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1997.

33. الناصري أبوا العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، ج3، تحق: جعفر الناصري، مُحَمَّد الناصري، دار الكتابن الدار البيضاء المغرب، د ط، 1954.

34. الوزان: حسن بن محمّد الفاسي (ت975هـ/1550م): وصف إفريقيا، ج1، تر: محمّد حجي ومحمّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت لبنان، 1983م

- الوفيات، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق، ط4، بيروت، 1983.

35. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (914هـ/1509م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
2. أبوا مالك كمال: بن السيد سالم، صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ج4، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، ص 139.
3. حسين بولقطيب: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين مطبعة النجاح الجديدة، ب ط، الدار البيضاء المغرب، 2002.
4. حميد: تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء المغرب، (د ط)، 2010.
5. روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1988.
6. عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس [ق6. ق8] ، دار الطليعة بيروت لبنان، ط1 2008.
7. مصطفى نشاط اطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، كلية الآداب، وجدة 2003.

قائمة المذكرات:

1. . مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الاوسط (588-927هـ/ 1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري – قسنطينة 1-، الجزائر، السنة 1429-2009-2008/1430.
2. عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 07 10هـ/ 13م16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية، 2014/2013.

قائمة المقالات:

1. إبراهيم لحسن، جوانب من ديمغرافية المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) خلال نهاية العصور الوسطى وبداية الفترة الحديثة من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الفاسي المعروف ب: ليون الإفريقي (ت بعد سنة 957هـ/1550م) مقال منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 35، العدد 01 السنة: 2021.سالم أبوا القاسم غومة، العلاقات السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط مقال منشور في مجلة الجامعة العدد الثامن عشر المجلد الثاني ماي 2016م.

2. أحمد السعداوي، مقال (المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، النتائج الديمغرافية)، ضمن كتاب جماعي: الديمغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي، دار سراس للنشر، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، تونس، (د ط). 1993م.

3. سالم أبوا القاسم غومة، العلاقات السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط مقال منشور في مجلة الجامعة العدد الثامن عشر المجلد الثاني ماي 2016م.